

عتبة 8

.ما نتركه غير مرئي

.هناك سؤال يأتي متأخرًا

.أكثر تأخرًا بكثير مما تتصور

.في الشباب نسأل الحياة ماذا سنستطيع أن ننال

.في النضج نسأل ماذا سنستطيع أن نحفظ

.وبعد سنوات كثيرة فقط نبدأ نسأل أنفسنا شيئًا مختلفًا

ماذا سيبقى حين لا نعود هنا؟

.إنه سؤال نادرًا ما يُقال بصوت عالٍ

.ربما لأنه يُشعرنا بعدم الارتياح

.ربما لأنه يجبرنا على النظر إلى ما وراء الحاضر

.ربما لأن لا أحد يحب مواجهة غيابه

.ومع ذلك يأتي

.دائمًا

.عاجلاً أو آجلاً يأتي

.لوقت طويل ظننُّ أن الإرث شيء مرئي

.عمل

.شركة

.بيت

.كتاب

.إنجاز

.شيء يمكن الإشارة إليه والاعتراف به

.ثم أراني الزمن حقيقة أعمق.

.أهم ما نتركه لا يُرى.

.لا يظهر في الجرود.

.لا يدخل في الميزانيات.

.لا ينتهي في الإحصاءات.

.ومع ذلك يظل يعيش.

قابلتُ أناسًا لم يكتبوا كتابًا قط وغيّروا حياة عشرات الأفراد.

أناسًا لم يقودوا منظمات كبيرة قط وتركوا بصمة لا تُمحي على عائلات بأكملها.

أناسًا لن يظهروا في أي موسوعة ومع ذلك يظلون موجودين عبر نتائج أفعالهم.

.هذا الاكتشاف غيّر طريقتي في النظر إلى النجاح.

.لأن النجاح يحب أن يُرى.

.أما الإرث الحقيقي فيعمل غالبًا في الظل.

.لنفكر في والدينا.

.في معلمينا.

في أناس التقيناهم أشهرًا قليلة وقدروا أن يؤثروا فينا عقودًا.

.كثير منهم يجهلون تمامًا الأثر الذي تركوه فينا.

.تكلموا.

.تصرفوا.

.عاشوا.

.وبقي شيء

.شيء ما زال مستمرًا حتى اليوم

.هذا هو الجزء غير المرئي من التاريخ الإنساني

.الأكبر

.الأقل حكاية

.الأقوى

ومع مرور السنين بدأت أنظر إلى خياراتي نفسها بطريقة مختلفة.

:لم أعد أسأل نفسي فقط

"ماذا أبني؟"

:كنت أتساءل

"ماذا أنقل؟"

.الفرق دقيق

.لكنه يغيّر كل شيء

.البناء يتعلق بالحاضر

.النقل يتعلق بالمستقبل

.والمستقبل مأهول دائمًا بأناس لا نستطيع أن نعرفهم

.أبناء

.أحفاد

.قرّاء

.أصدقاء

.غرباء

أناس سيتصلون يومًا بشيء تركناه خلفنا

لن يعرفوا من كنا

لن يعرفوا كل التفاصيل

لكنهم سيتلقون نتيجة

وتلك النتيجة ستتكم بدلاً عنا

خلال حياتي المهنية رأيت مشاريع تولد وتختفي

شركات تنمو وتتغير

أسواقًا تتحوّل

تقنيات تصبح بالية

كل ما بدا دائماً كان يتبين أنه مؤقت

في البداية كانت هذه الحقيقة تقلقني

ثم بدأت أجدها محررة

لأنها كانت تجبرني على البحث في مكان آخر عما يدوم حقاً

وما يدوم لا يتطابق تقريباً أبداً مع ما نملكه

يتطابق مع ما ننقله

جملة

مبدأ

مثال

إيماءة

شكل من الحضور

ما ننقله يظل يسافر حتى حين لم نعد حاضرين لمرافقته

كثيرًا ما وجدْتُ، في كلمات الآخرين أو سلوكهم، شطايا من
أناس لم يعودوا موجودين.

طريقة في التفكير.

حساسية.

شكل من السخرية.

درس.

في تلك اللحظات كنتُ أفهم شيئًا.

الناس لا يختفون تمامًا.

جزء منهم يظل يتحرك في العالم.

ليس كذكرى.

بل كتأثير.

وربما هذا هو أصدق أشكال البقاء.

مع التقدم في العمر نتوقف تدريجيًا عن الاهتمام بمظهر
إرثنا.

نصير أكثر انتباهًا إلى جودته.

لا يهم كم هو كبير.

يهم كم هو حقيقي.

حقيقة صغيرة تُنقل بصدق قد تعيش أطول من بناء عظيم
أنجز من أجل الغرور.

التاريخ مليء بذلك.

الأعمال الضخمة تتفتت.

المبادئ تظل تسافر.

البنى تتغير.

.القيم تبقى

.لهذا أعتبر اليوم كل علاقة شكلاً من البذر

.لا نعرف أبدًا ما الذي سينمو حقًا

.لا نعرف أبدًا أي كلمة ستبقى

.أي إيماءة ستُذكر

.أي مثال سيُحتذى

.لا يسعنا إلا أن نتصرف بصدق

.وأن نترك الزمن يفعل الباقي

في نهاية العمر، أظن أن قلة يتذكرون العدد الدقيق
للاتتصارات.

.قلة يتذكرون النتائج المفصلة

.قلة يتذكرون الألقاب

.لكن كثيرين يتذكرون كيف عُوملوا

.كيف استُقبلوا

.كيف احْتُرموا

.كيف أُحبُّوا

.هذا هو الإرث غير المرئي

.الذي لا يظهر في الصور

.الذي لا يُولد تصفيقًا

.الذي لا يبحث عن الانتباه

.ومع ذلك هو الجزء الأطول صمودًا

إذ أنظر إلى الوراء اليوم، أفهم أن الحياة لا تُقاس فقط بما
تنجزه.

تُقاس أيضًا بما يظل يعيش في الآخرين.

في الأفكار التي نقلناها

في الناس الذين ساعدناهم

في الكرامة التي دافعنا عنها

في الثقة التي ولّناها

في الشجاعة التي أبقظناها

كلها أشياء غير مرئية

كلها أشياء حقيقية

ربما الأكثر حقيقية على الإطلاق

لأنه حين يكون الزمن قد أخذ كل شيء تقريبًا، سيبقى ما لا يُرى.

ما تركناه غير مرئي